منطلقات الدعوة الإسلامية

ليس الحرص على نشر الدعوة الإسلامية وتبليغها للعالم ناشئاً بأي حال من الأحوال من مفهوم نفعي ، أو مصلحة مادية ، أو رغبة في بسط النفوذ والتفوق والسيطرة ، وإنما هو قائم على أساس الإسهام في إعانة الإنسان على إدراك حقيقة المبدأ والمصير ، ومعرفة واقع الحياة ، والتخفيف من المعاناة ، والتخلص من المآسي التي يصطدم بها في مسيرة عمره ، أو بعد بعثه من قبره .

وسبب الدعوة والتفرغ لها أو بذل بعض ألوان النشاط في سبيل إنجاحها ، هو تنفيذ التكليف الإلهي ، الذي بدا بصورة أوامر تشريعية إلزامية في النصوص القرآنية والسنة النبوية الشريفة . وتتمثل منطلقات الدعوة الإسلامية في أمرين : الإلزام التشريعي ، وعالمية الدعوة .

أولاً ـ الإلزام التشريعي بالدعوة إلى الله تعالى :

ختم الله النبوات والرسالات الإلهية بالنبي محمد ﷺ ، وبالقرآن العظيم الذي أكمل الله به الدين وأتم النعمة ، وجعله هو اللسان الوحيد الناطق بمراد الله ، الثابت بحق ، المصون عن التحريف ، المعبِّر عن الوحي الإلهي ، المتضمن خطاب الله تعالى بالشرائع والأحكام ، والحلال والحرام ، وبيان أصول الدين والإيمان ، وأركان التشريع والإسلام ، أي أن الدين الثابت هو واحد ، ولا تعدد في الأديان ، كما لا يمكن القول بوحدة الأديان في عالم وواقع يظهر فيه التغاير والتناقض والتصادم ، مما يثير الشك ، بل ويوجب القطع واليقين بأن الحق واحد لا يتعدد .

والدين الإلهي في جوهره وأصوله وغاياته واحد لا تعدد فيه ، تكمل كل رسالة إلهية ، وكل كتاب منزّل ما تقدمهما من رسائل وكتب وصحف ، ومبناها كلها الإصرار على الدعوة إلى توحيد الإله الخالق ، والإقرار بوجود الذات الإلهية المهيمنة على جميع أنحاء الكون والمخلوقات في الأرض والسماء ، وتصحيح العقائد الباطلة ، والعبادة

المشوهة ، والأخلاق المعوجة ، وإقامة البدائل الصحيحة الثابتة التي تنشد خير الإنسان وإسعاده ، وتتجاوب مع نداءات الفطرة السوية ، وتتفاعل مع الفكر الحر ، والعقل السديد ، ومع حكمه على الأشياء بما يقنع ، ويتفق مع الواقع .

وتكررت آي القرآن المجيد في التأكيد على حقيقة تصديقه الكتب السماوية السابقة والهيمنة عليها ، وتفصيل ما أجمل منها ، أو إيقاف سريان ما لم يعد صالحاً منها ، فيما يتعلق بجزئيات الأحكام وفروعها ، لا في أصول العقيدة والأخلاق والفضائل ، قال الله تعالى : ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف : ١١١] . وجاء في مطلع سورة آل عمران : ﴿الم ۝١ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ ۗ . ﴾ [آل عمران : ١ـ٤] .

وتلا ذلك التعبير عن الهيمنة والسيادة للقرآن على الكتب السابقة في سورة المائدة : ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا

لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً . . ﴾ [المائدة : ٤٨] .

قال الفخر الرازي : إنما كان القرآن مهيمناً على الكتب ؛ لأنه الكتاب الذي لا يصير منسوخاً البتة ، ولا يتطرق إليه التبديل والتحريف ، على ما قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر : ٩] . وإذا كان كذلك ، كانت شهادة القرآن على أن التوراة والإنجيل والزبور حق صدق باقية أبداً ، فكانت حقيقة هذه معلومة أبداً[١] .

وأوضح النبي ﷺ ختم الشرائع برسالته حيث قال : « إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي ، كمثل رجل بنى بيتاً ، فأحسنه وأجمله ، إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه ، فجعل الناس يطوفون به ، ويعجبون له ، ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ؟ فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين »[٢] .

يتبين من هذا أن دعوة الإسلام امتداد لتلك الدوحة

---

(١) التفسير الكبير للإمام الرازي ١٢/ ١١ .

(٢) رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه .

المباركة ، وهي النور الإلهي المضيء للبشرية دروب الحياة ، ومجاهيل التحركات الإنسانية ، وهو الإسلام الخالص لله ، المتمثل بالخضوع لأوامره ، والمقيم على التوحيد لله ونبذ الشرك ، والتوجه إليه سبحانه بخالص العبادة والطاعة ، وهو الذي عبرت عنه الآية الكريمة : ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران : ١٩] وهو الذي جعل نبي الإسلام يسير في درب من قبله من الأنبياء على الحق والهدى والرشد المنزَّل ، لا المبدّل ، لذا أمره الله أن يقول : ﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [الأحقاف : ٩] .

وعملاً بموجب التكليف الإلهي أمر النبي عليه الصلاة والسلام بتبليغ دين الله وشرعه ، كما وصفه ربه بقوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٤٥ـ٤٦] بل أمره الله بالمواظبة على التبليغ ، وإعلان الدعوة إلى الحق والخير والتوحيد ، في قوله سبحانه : ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [المائدة : ٦٧] .

والعلماء المسلمون ، كل واحد بمقدار معرفته وطاقته ،

هم خلفاء النبي وورثته في تبليغ الرسالة الإلّهية ، والوحي القرآني ، والأحكام التشريعية المبينة من النبي الرسول ، وهم المطالبون برعاية أمانة التكليف الإلّهي ، كما جاء في قوله تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب : ٧٢] . وجاء الأمر القرآني صريحاً بلزوم الدعوة والتبليغ في قوله تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٤] . وتأيد هذا بالحديث النبوي المتواتر الآمر صراحة بالتبليغ : « نضَّر الله امرءاً سمع مقالتي ، فوعاها ، فأداها إلى من لم يسمعها ، فرب حامل فقه غير فقيه ، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه »[1] .

وفي خطبة النبي في حجة الوداع : « ألا ليبلِّغ الشاهد الغائب ، فلعل بعض من يبلغه أن يكون أوعى من بعض من سمعه »[2] .

---

(١) رواه الشافعي وأحمد والترمذي وابن حبان عن ابن مسعود ، والترمذي والضياء عن زيد بن ثابت .

(٢) أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي عن ابن مسعود ، =

وهؤلاء المأمورون بالتبليغ ونشر الدعوة الإسلامية : هم صحابته الكرام ، والأجيال المتعاقبة إلى يوم القيامة ، ويشمل ذلك هداية القرآن الكريم ، والسنة النبوية القولية والفعلية والتقريرية ، المتضمنة جميع ما شرعه الله ، وجعله نظاماً للحياة في الاعتقاد ، والعبادة، والتشريع والمعاملات، سواء في نطاق الأسرة الخاصة ، أو الأسرة المسلمة ، في اتباع نظام الأخلاق والتعامل ، أو الأسرة الإنسانية الكبرى في الدعوة إلى توحيد الله ، والتزام الأخلاق والفضائل .

ولم يكن التبليغ مجرد اختيار وأدب ، بل واجباً شرعياً ، يأثم من أهمله أو تركه أو فرط في شيء منه ، أو كتم حكماً من أحكام الشرع الإلهي ، بدليل أن الله توعد الذين يكتمون ما أنزل الله من الهدى والبينات في صريح القرآن المحكم بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة : ١٥٩ـ١٦٠] .

= والترمذي عن عمرو بن الأحوص ، وغيرهم .

ولم تكن دعوة القرآن إلى توحيد الله ، وإقامة معالم الحق والهداية والاستقامة ، إلا لخير الإنسان والإنسانية ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [الإسراء : ٩-١٠] .

والعمل في الخير ، والإصلاح ، والإرشاد إلى الخير ، ومحبة الخير وإسعاد الإنسان ، يقتضي ذلك كله امتداح أهل الخير ودعاة الخير والإصلاح ، على الدوام ، لذا قال الله سبحانه : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت : ٣٣] . والمعنى كما قال القرطبي[1] . : (ومن أحسن قولاً من الداعي إلى الله وطاعته ؛ وهو محمد ﷺ) . وهذا ينطبق على من يقوم بمهمته في الدعوة بعده أيضاً ، لأنه الأسوة الحسنة .

وإذا كانت أحداث الزمان والتاريخ تطلع على الدعاة كل حين بألوان من الصدّ والإعراض ، ويصطدمون بالمصاعب الشاقة التي تحول دون استجابة المدعوين إلى تصحيح

---

(١) تفسير القرطبي ١٥/ ٣٦٠ .

عقائدهم ، فهذا دليل على أنهم على حق ، وأن المعادين أو المعرضين وإن كثروا ، فتلك سنة الله في جعل أهل الحق قلة ، وأهل الباطل كثرة ، كما قال الله تعالى : ﴿ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [هود : ١٧] . ﴿ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [يوسف : ١٠٣] . ﴿ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ﴾ [الأعراف : ١٠٢] .

ثانياً ـ عالمية الدعوة الإسلامية أو النزعة العالمية للإسلام :

المدعوُّون إلى الإسلام هم الثقلان من الإنس ، أي جميع الأمم والشعوب والأفراد ، والجن ، أي عالم الخفاء ؛ لأن هذا الدين رسالة الله الخالدة ، ومنهجه الذي لا يعرف العنصرية ، والقومية ، وامتياز الأجناس ، والانغلاق على الذات المؤمنة به ، وإنما هو دعوة متفتحة عالمية ، أو ذات نزعة عالمية ، يراد بها تعميم الخير للبشر ، والوفاء بحاجات الإنسان والإنسانية ، وقيادة البشرية ، وإسعاد الكل ، فكان بذلك قاعدة المحبة الخالصة والشاملة ، ومحور اجتذاب أنظار العالم ، فهو ليس كالعصبيات الجاهلية الممقوتة ،

ولا كالديانة اليهودية المغلقة ،ولا كالنازية العرقية التي تفضل الجنس الآري أو الألماني على بقية شعوب العالم ، أو النزعات الأوربية أو الأمريكية العنصرية التي تفضل أصحاب الدم الأزرق على كل من عداهم ، وإنما دعوة الإسلام شاملة غير مقصورة على جنس معين أو فئة معينة أو طبقة معينة .

وما أكثر **الأدلة النصية والموضوعية** الذاتية على عالمية الإسلام ونشدانه خير الجميع .

أما **الأدلة النصية على عالمية الإسلام** من الكتاب والسنة فهي كثيرة ، منها ما يلي : قول الله تعالى : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف : ١٥٨] . وقوله سبحانه : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سبأ : ٢٨] . ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان : ١] . ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] .

ومنها قول النبي ﷺ : « . . وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة ، وبعثت إلى الناس كافة »[1] . وفي رواية الإمام

---

(١) رواه البخاري ومسلم والنسائي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه .

أحمد « أعطيت خمساً : بعثت إلى الأحمر والأسود »[1] .
وفي رواية الإمام مسلم : « أرسلت إلى الخلق كافة ، وختم بي النبيون » .

علق ابن كثير[2] . على الآيات والأحاديث الواردة في هذا الموضوع قائلاً بعد الآية الأولى :

وهذا آي القرآن : ﴿يا أيها الناس﴾ خطاب للأحمر والأسود والعربي والعجمي ، وقوله تعالى : ﴿إني رسول الله إليكم جميعاً﴾ أي جميعكم ، وهذا من شرفه وعظمته صلى الله عليه وسلم أنه خاتم النبيين ، وأنه مبعوث إلى الناس كافة ، كما قال الله تعالى : ﴿ قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدُۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ﴾ [الأنعام : ١٩] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ﴾ [هود : ١٧] وقال تعالى : ﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ﴾ [آل عمران : ٢٠] والآيات في هذا كثيرة ، كما أن الأحاديث

---

(١) قال ابن كثير : إسناده صحيح ، ولم أرهم خرّجوه .
(٢) تفسير القرآن العظيم ٢/ ٢٥٤ـ٢٥٥ .

في هذا أكثر من أن تحصر ، وهو معلوم من دين الإسلام ، ضرورة أنه صلوات الله وسلامه عليه رسول الله إلى الناس كلهم .

لهذا كله جاءت الخطابات في العقيدة والعبادة بصفة الناس والآدمية ، فقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ﴾ [البقرة : ٢١] ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ . . ﴾ [الأعراف : ٢٧] .

وأما الأدلة الموضوعية على عالمية الإسلام ، وهي المقومات الأساسية التي اشتمل عليها الدين الإسلامي ، فهي أيضاً كثيرة .

١ـ **قانون الفطرة** : أو الإنسجام مع الفطرة الإنسانية الأصلية : وهي أن الله تعالى خلق كل نفس على فطرة التوحيد لله ، والإقرار بوجوده والاعتراف به ، كما تصور الآية الشريفة : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف : ١٧٢] . أي أن الإنسان بأصل تكوينه النفسي والعقلي مستعد بمقتضى هذه الفطرة السليمة المخلوقة ، والأصالة ، للاهتداء والإيمان

بوجود الله وتوحيده ، ما لم تنتكس هذه الفطرة ، وتفسدها التربية والتوجيه والبيئة ، واتباع الأهواء الموروثة . وهذا ما أوضحه الحديث النبوي الثابت : « ما من مولود إلا يولد على الفطرة[1] ، فأبواه يهوِّدانه ، أو ينصِّرانه ، أو يمجِّسانه ، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء[2] ، هل تحسون فيها من جدعاء »[3] ، ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾[4] [الروم : ٣٠] .

٢ـ التوافق مع العقل السليم والعلم : ما من عقيدة أو عبادة أو شريعة أو حكم بالحل أو الحرمة في الإسلام إلا وهو متفق مع مقتضى العقل السليم والفكر الصحيح . وما من إشارة علمية في القرآن إلا وهي متطابقة مع مكتشفات

---

(١) أي أصالة الاستعداد لقبول الإيمان بالله ، والدين الحق القيم ، أي ذي القيمة الكريمة .

(٢) أي تامة الخلق .

(٣) أي مقطوعة الأذن أو الأنف أو ناقصة الخلق .

(٤) رواه مسلم والموطأ والترمذي وأبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه (جامع الأصول ١/ ١٧٨) .

العلم الثابتة ، والنظريات العلمية الصحيحة ، ولا تعارض بين الشرع الإلهي والعقل البشري والعلم المكتشف في شيء على الإطلاق ، ولقد كرم الإسلام والقرآن الإنسان بالعقل ، وقامت شريعة الإسلام على العلم والمدنية والتحضر ، وكرم الله أهل العلم في قرآنه تكريماً لا نظير له .

قال الله تعالى واصفاً مضمون رسالة النبي الكريم : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الجمعة : ٢] . وما أصح وأقوم موقف ذلك العربي الأعرابي المتفتح ، حينما سئل عن سبب دخوله الإسلام ، فقال : لأنني لم أر محمداً يأمر بشيء والعقل ينهى عنه ، ولا ينهى عن شيء والعقل يأمر به . وهذه الأصالة النيرة هي المعبر عنها في قوله تعالى : ﴿ قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف : ١٠٨] .

٣ـ قيام مبادىء الإسلام على **الحرية والعدل والمساواة والشورى** ، قال الله تعالى : ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ ﴾ [البقرة : ٢٥٦] وقال سبحانه : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ ﴾ [النحل : ٩٠] وقال عز وجل : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ

فِي ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران : ١٥٩] ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى : ٣٨] . وقال عمر رضي الله عنه : (متى تعبدتم ـ أو استعبدتم ـ الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً)،وقال الله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات : ١٣] .

وقال النبي ﷺ : « الناس كأسنان المشط ، لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى »[1] . وبذلك حقق الإسلام المساواة بالفعل بين الناس ، منطلقاً من الوحدة الإنسانية التي تنبذ التمييز بسبب العنصر أو العرق أو الثروة أو اللغة أو التفوق العلمي والحضاري .

٤ـ **تلاقيه مع أصول الأديان السابقة** : في دعوتها إلى توحيد الله ، وإقرار الحق والعدل ، وأصول الاعتقاد والإيمان ، والأخلاق والفضائل ، قال الله تعالى : ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ

---

(١) رواه ابن لال والشجري في أماليه وغيرهما (سبل السلام ١٢٩/٣) .

إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [الشورى : ١٣] .

٥ـ **وسطية الإسلام** : بالجمع بين مطالب الدين والدنيا ، والروح والآخرة ، وبين الثوابت الجذرية أو الأساسية ، والمرونة في الاجتهاد والتطبيق ، والسماحة واليسر ، وعدم إعنات الناس وتكليفهم بالحرج والمشقة . قال الله تعالى : ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصص : ٧٧] . وقال سبحانه : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ـ أي عدولا ـ لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة : ١٤٣] . وما أكثر آيات دفع الحرج ، وإعلان السماحة ويسر الأحكام الشرعية، مثل قوله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [الحج : ٧٨] ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ [البقرة : ١٨٥] .

وكان لهذه المقومات تأثيرها في انتشار الإسلام في المشارق والمغارب ، فما من قطر في العالم إلا وفيه مسلمون ، وإن كان الأمر يحتاج لمزيد من الدعوة والتخطيط

لها ، وإمداد الدعاة بالوسائل المادية والمعنوية ، والعلمية ، والفكرية ، التي تمكّنهم من تأدية مهماتهم على الوجه الأكمل ، سواء في البلاد التي يوجد فيها مراكز ومساجد إسلامية ، أم التي تُقْفر منها المؤسسات الدعوية الإسلامية الرشيدة . وهذا الاتساع والامتداد الإسلامي أثر من نبؤة النبي ﷺ الذي أخبر بمغيبات كثيرة في المستقبل ، فقال في هذا الصدد : « إن الله زَوَى[1] لي الأرض ، فرأيت مشارقها ومغاربها ، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زُوي لي منها[2] ، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض[3] . . »[4] .

ويمكن إيجاز مقومات هذا الدين التي جعلته ينتشر بقوة ذاتية فيه ، ألا وهي أنه **حق ونور** ، فهو دين **الحق** المطابق للحقيقة والواقع والصدق ، إذا قورن باليهودية بأنها دين

---

(١) أي طوى وضم وجمع .

(٢) هذا من معجزاته ﷺ ، لأن ملك أمته بلغ من المشارق والمغارب كثيراً واسعاً .

(٣) أي كنوز الذهب والفضة من بلاد فارس والروم .

(٤) رواه مسلم وأبو داود والترمذي عن ثوبان رضي الله عنه (جامع الأصول ١٢/ ٦١) .

عنصري منغلق مقصور على اليهود ، أو بالمسيحية بأنها دين المحبة والسلام ، قال الله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ [الصف : ٩] . وهو نور يبدد ظلمات النفس والبيئة والمجتمع ، لأنه يرشد إلى أقوم الطرق ، وأسلم المناهج والسبل ، ويعتمد على قاعدة السلم والأمن والسلام ، قال الله تعالى : ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [المائدة : ١٥-١٦] . فالنبي نور والقرآن نور ، والمؤمنون الذين اتبعوهما هم أهل النور والمعرفة والقدوة الحسنة ، وقد وصف الله نبيه بقوله تعالى : ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف : ١٥٧] .

* * *